الإشاريّات في مقامات ابن الورديّ
دراسة تداوليّة

أ. د. علي حيدر*، أ. د. سميرة الرَّاهب، منى العلي*****
***أستاذ في قسم اللّغة العربيّة، قسم اللّغة العربيّة ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين
****أستاذ في قسم اللّغة العربيّة، قسم اللّغة العربيّة ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين
*****طالبة دراسات عليا (دكتوراه)، قسم اللّغة العربيّة ، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين

الملخص

يتناول البحث دراسة مقامات ابن الورديّ في ضوء نظريّة الإشاريّات الّتي تعدّ من أهمّ الآليّات اللّغويّة في التّحليل التّداوليّ؛ لأنّها تهتمّ مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللّغات، والسّياق الّذي تستخدم فيه، فهي عناصر لغويّة يقتضي الإلمام بمعناها ومعرفة العناصر السّياقيّة المحيطة بعمليّة التّلفّظ؛ لأنّها لا ترتبط بمدلول ثابت، ولذلك تسمّى بالمبهمات.

وبناء على ما سبق، اشتمل البحث على التّعريف أوّلاً بابن الورديّ وبمقاماته، ثمّ الحديث عن الإشارة والإحالة؛ إذ إنّ هناك تداخلاً بينهما، ولذلك يتوجّب علينا التّفريق بينهما، وإبراز أهمّ الآراء الخاصّة بهذا الموضوع، ثمّ الوقوف عند أنواع الإشاريّات، وتطبيقها على مقامات ابن الورديّ.

خلصت الدّراسة إلى أنّ دور الإشاريّات لا يتوقّف في السّياق التّداوليّ عند الظّاهر، بل يتجاوزه إلى بنية الخطاب العميقة في مواضع الإشاريّات المستقرّة في متنه.

الكلمات المفتاحيّة: التّداوليّة، الإشاريّات، الإحالة، السّياق،ابن الورديّ.

مقدّمة:

تحمل اللّغة في مظانّها أبعاداً سياقيّة مختلفة: سياسيّة، واجتماعيّة، ونفسيّة، وغيرها لذلك فإنّ قوانينها الخاصّة غير كافية لفهم الكلام، فاستعمالها، وفهمها يتطلّب معارف غير لسانيّة؛ لذلك جاءت التّداوليّة لتجمع بين التركيب والدّلالة والسّياق بعدما شهدت الدّراسات السّابقة قصوراً واضحاً في إجراءاتها؛ لاهتمامها بالمستويين التّركيبيّ، والدّلاليّ، أو بأحدهما.

فالتّداوليّة تهتمّ بدراسة اللّغة في السّياق عن طريق الظّروف المحيطة بها من مكان التّخاطب وزمانه، لكي تتضح مقاصد المتكلّم، والمعاني المطلوب إيصالها إلى المخاطب، وتهتمّ أيضاً بنوعيّة العلاقة الاجتماعيّة بين المتخاطبين.

وقد اهتمّت التّداوليّة في بدايتها بالخطاب العاديّ أو التّواصليّ، غير أنّها سرعان ما وسّعت مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبيّ، وعملت على تطوير مفاهيمها النّظريّة، وأدواتها التّحليليّة لتلائم هذا الاستعمال المخصوص للغة سواء أكانت شعراً أم نثراً.

ومن هنا جاءت فكرة موضوع هذا البحث الموسوم بـ" الإشاريّات في مقامات ابن الورديّ دراسة تداوليّة" الّذي يسعى إلى تطبيق ما توصّلت إليه التّداوليّة من دراسات على أحد أبرز الكنوز التّراثيّة المتمثّلة في مقامات (ابن الورديّ)؛ لكشف ما تختزنه من أبعاد تداوليّة، نظراً لما تتمتّع به لغة المقامات من لغة إيحائيّة، وأبعاد سياقيّة تثمر لنا حقولاً خصبة لهذه المقاربة، ولآليّاتها ممثّلة في الإشاريّات.

وفي ضوء ما تقدّم ينتظم البحث في مقدّمة وجانبين؛ أحدهما نظريّ نتناول فيه التّعريف بابن الورديّ، ووصف المدوّنة في سطور ، ثمّ الحديث عن الإشارة والإحالة؛ إذ إنّ هناك تداخلاً بينهما، ولذلك يتوجّب علينا التّفريق بينهما، وإبراز أهمّ الآراء الخاصّة بهذا الموضوع.

وأمّا الجانب الثّانيّ فهو تطبيقيّ نقف فيه عند أنواع الإشاريّات، وتطبيقها على مقامات ابن الورديّ.

وتأتي الخاتمة لتبيّن أهمّ النّتائج الّتي توصّل إليها البحث.

أوّلاً: ابن الورديّ(حياته، ومقاماته)في سطور:

هو زين الدّين، أبو حفص عمر بن مظفّر بن عمر بن محمّد بن أبي الفوارس بن الورديّ المعريّ الشّافعيّ، وُلد سنة إحدى وتسعين وستمئة من الهجرة(691هـ) بمعرّة النّعمان، ومنها جاءت نسبة المعريّ إليه(العسقلاني 1966، والكتبي1973، والسبكي 1990، والزركلي 2002) .

عُرف ابن الورديّ بكثرة التّصنيف، ومن مصنّفاته على سبيل الذّكر لا الحصر: نظم البهجة الورديّة في العفة على الحاوي الصّغير القزوينيّ الشّافعيّ المتوفّى سنة (665هـ)، والرّسائل المهذّبة في المسائل الملقّبة في الفرائض، شرح ألفيّة ابن مالك، الشّهاب الثّاقب في التّصوّف.

وقد برع في النّظم والنّثر، كما برع في النّحو والفقه وغيرهما، ويظهر من رسائله أنّه اشتغل بالتّدريس، وخرّج طلّاباً عدّة، وقد أجازهم.

قال السّبكيّ عن شعره:" شعره أحلى من السّكّر المكرّر، وأغلى قيمة من الجوهر" (السبكي1990)، وقال الصّفديّ:" شعره أسحر من عيون الغيد" (الحنبلي، د.ت)

توفّي ابن الورديّ في السّابع عشر من ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وسبعمئة من الهجرة النّبويّة مطعوناً في الطّاعون العام بحلب، وكان عمره يناهز السّتين عاماً.

بلغت مقامات ابن الورديّ خمس مقامات، عالجت المواضيع الّتي كانت شغل المجتمع في ذلك الوقت، وكلّها تصبّ في قالب الإصلاح، والتّوجيه يغلّفها إطار الدّين.

ففي المقامة الصّوفيّة نجده يبدؤها بـ(حكى إنسان من معرّة النّعمان)، وهي المقدّمة المعتادة في مقاماته كلّها، وتُصبّ أحداث هذه المقامة في سفر ذلك الإنسان إلى القدس الشّريف باحثاً عن حقيقة ما. وفيها يحدّثنا عن حقيقة التّصوّف وماهيته في هذه الأيّام، فيدعو الله أن يهيّئ له صحبة صالحة، فعند ذاك تجاب دعوته، فيلتقي عشرة رجال بينهم شيخ كبير، جليل الهيئة، فيبدأ بسؤاله، والشّيخ يجيب عن أصل التّصوّف وقواعده، وصفات المتصوّفة الحقيقيّة إلى أن ينهي تسعة أسئلة، فيضيف إليها الشّيخ القاعدة العاشرة، وبها يبيّن له تمام المعرفة الحقيقيّة بالمنهج الصّوفيّ، وفي هذه المقامة يتّخذ منهجاً إصلاحيّاً، ويحدّد مساوئ الصّوفيّة. (ابن الورديّ، 1426هـ)

وأمّا المقامة الأنطاكيّة فيبدؤها بالرّحلة إلى أنطاكيا، فيجدها مدينة رائعة، فيبتهج بمنظرها إلى أن ينتهي إلى والي المدينة فيجده في غاية الحزن والضّيق، فيسأل الوالي عن سبب حزنه، ويجيبه الوالي بأنّ مصدر حزنه هو تزايد العنصر الأجنبيّ على حساب مصالح العرب، وعدم شعور العرب بالخطر الأجنبيّ القريب منهم، والحسّ القوميّ بارز في هذه المقامة. (ابن الورديّ، 1426 هـ).

وفي المقامة المنبجيّة يحدّثنا الرّاويّ عن زيارة ذلك الإنسان إلى مدينة منبج فيراها على غير حالها، وأماكنها دراسة، ولأنسها فاقدة، وبعدها يدخل المدرسة النّوريّة، ويجد مدرّسها القاضي صغير السّنّ فيحتقره، ويعزم على تخجيله ببعض الأسئلة، وقوامها عشرة، وفيها حسّ سياسيّ ناقد ومعارض عبر وصف المدينة وآثارها الدّارسة، كما فيها نقد لقضاة زمانه.(ابن الورديّ، 1426 هـ)

وفي المقامة المشهديّة يقرّر السّفر، وينوي زيارة المشاهد أي القبور، وبينما هو يقطع المسافات فإذا غبار علا، وخرج منه شخص ذو هيبة، فسأله عن قصيدة، فأجابه بأنّه قصد زيارة المشاهد فيبادره بأنّه باطل، وفي هذه المقامة تناول ابن الورديّ أمراً فقهيّاً ويبيّن حرمته، وملخّص هذه المقامة أنّ زيارة القبور تذكّر الإنسان بآخرته، وحساب الباري له. (ابن الورديّ، 1426 هـ)

ويبدأ مقامة صفو الرّحيق في وصف الحريق على غير عادته بقوله:(حدّث غياث بن بحر عن ندي بن بحر)، وهي بداية موفّقة ومناسبة؛ فقد بيّن عبر كلامه بأنّه على سفر، ونزل دمشق، فصادف وصوله حريق دمشق الرّهيب الّذي حدث عام (740هـ). وفيها يصف الكاتب ذلك الحدث بوصف بديعيّ مشوّق؛ إذ إنّه

يصف معالم دمشق وأسواقها، ومدارسها، وكيفيّة وصول النّار إليها والتهامها، وذلك اللّهيب المتطاير الّذي أصبح به ليل دمشق نهارا من شدّته، فيبادر والي دمشق مع مماليكه في محاولة الحدّ من الحريق، وفي هذه المقامة أيضاً وصف للواقع السّياسيّ الّذي منع حرّيّة الرّأي، وكشف الحقائق.(ابن الورديّ، 1426هـ)

ثانياً:الإشاريّات والإحالة:

تعدّ الإحالة فعلاً تداوليّاً؛ لأنّها ترتبط بموقف تواصليّ معيّن، فهي متعلّقة بمخزون كما يتصوّره المتكلّم أثناء التّخاطب، وفقاً لتقديره للإمكانات المتوفّرة لدى المخاطب للتّعرّف على الذّات المعنيّة بالإحالة، كما أنّها عمليّة تعاونيّة، وهذا نسبة إلى مبدأ التّعاون لـغرايس؛ لأنّ المتكلّم يهدف إلى تمكين المخاطب من معرفة الذّات المقصودة، فيقوم بتقديم المعلومات الّتي يمتلكها، والّتي تمكّن المخاطب من انتقائها من بين مجموعة من الذّوات، لذلك فهي محكومة بقواعد غرايس خاصّة" قاعدة الكم" الّتي تحرص على أن يقدّم المتكلّم المعلومات الّتي تكفي للتّعرّف على الذّات المقصودة دون زيادة أو نقص، فإذا كانت دونه قد يقع اللّبس لدى المتلقّي فتمثّل عمليّة الإحالة، وإذا فاقته أو زادت عن حدّها خرج المعنى عن حقيقته إلى أغراض أخرى (المتوكّل،2001) ، لذلك فإنّ أهمّ ما يجدر لفت النّظر إليه هو أنّ" ظاهرة الإحالة أدخل في التّداول منها في الدّلالة؛ إذ إنّها ترتبط بالمقام، وتحديداً بالمعلومات الّتي يفترض المتكلّم وجودها لدى المخاطب المحال عليه حين عمليّة التّواصل". (المتوكّل،2010)

وتتلاقى العناصر الإشاريّة مع العناصر الإحاليّة في جملة من النّقاط، لعلّ أهمّها إحالتها على مراجع غير ثابتة ولا محدّدة، غير أنّ الإحاليّات "تقابل غالباً تضادّيّاً مع الإشاريّات حيث يعرف الإحاليّ بأنّه يرجع إلى السّياق اللّغويّ، بينما يرجع العنصر الإشاريّ إلى السّياق المقاميّ؛ أي إلى المعطيات المدركة المتوافرة في سياق التّواصل."(دردار،2012) وعليه فإنّ الإشاريّات" تقابل العناصر الإحاليّة الّتي ترتبط بالسّياق، وما يتعلّق به من ملابسات"(الزناد،1993)

وإذا كانت الإشاريّات عبارة عن عناصر لغويّة تحيل على مراجع خارجيّة، فإنّها تتطابق مع الإحالة المقاميّة، وهي" إحالة عنصر لغويّ إحاليّ على عنصر إشاريّ غير لغويّ موجود في المقام الخارجيّ، كأن يحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحبه المتكلّم(...)، ومهما تعدّدت أنواع الإحالة فإنّها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاريّ والعنصر الإحاليّ في المرجع."(الزناد، 1993)

لذلك يرى هاليداي أنّ الإحالة المقاميّة تساهم في خلق النّص لكونها تربط اللّغة بسياق المقام، إلّا أنّها لا تساهم في اتّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النّصيّة بدور فعّال في اتّساق النّص.(خطابيّ، 1991م)

غير أنّ ج بول يعدّ الإحاليّات" تفريعاً أو اشتقاقاً من الإشاريّات، وأنّها لا تعدو أن تكون مختصة بوظيفة مواصلة الإشارة." (الزناد، 1993)

وبعد هذه النّظرة الموجزة حول الإشاريّات نحاول بيان أنواعها، وتطبيقها على مقامات ابن الورديّ.

أ- الإشاريّات الشّخصيّة:

وهي في الغالب الأعمّ الإشاريّات الدّالّة على المتكلّم، أو المخاطب، او الغائب؛ فالذّات المتلفّظة في مقامات ابن الورديّ- وهي في الغالب إنسان من معرّة النّعمان- تدلّ على المرسل في السّياق؛ فقد تصدر منه خطابات متعدّدة، فذات (إنسان) في المقامات تتغيّر بتغيّر السّياق الّذي تلفظ فيه، وهي تمثّل محور التّلفّظ في الخطاب تداوليّاً، فممارسة التّلفّظ من قبل (إنسان من معرّة النّعمان) في مقاماته كلّها تجعل من الأنا دائم الحضور في كلّ منها- المقامات- فهو لا يعوّل على ذكرها دائماً؛ لأنّها موجودة حاضرة في كفاءة المرسَل إليه، ومن ذلك مطالع مقامات ابن الورديّ، فجلّها مفتتح بعبارة " حدّثنا إنسان من معرّة النّعمان، قال،...."، فعلى سبيل المثال قوله:" حدّث إنسان معرّة النّعمان، قال: دخلت منبج في بعض الأسفار، فرأيت مصراً كالأمصار،(...)، فازددت بحبّها القديم حبّاً." (ابن الوردي، 1426هـ)

تضمّن هذا القول بعداً إشاريّاً هو: أنا أقول: دخلت منبج...، وأقول: رأيت مصراً وأقول: ازددت...، وما يدلّ على حضور الأداة الإشاريّة(أنا) في ذهن المرسل إليه هو إحالته لفظاً على المرسل عندما ينقل هذا الخبر إلى غيره من النّاس، ويشكّ أحد ما في صحّته، فيقول، هو قال: دخلت منبج؛ أي إنّه أحال القول على المرسل الأصليّ باستعماله أداة إشاريّة تتناسب مع المحال عليه على مستوى الإفراد، والتّذكير، والغيبة، فـ(إنسان من معرّة النّعمان) في هذا الموضع، وفي غيره من المقامات لم يتلفّظ بضمير المتكلّم في ابتداء خطابه، لأنّه اجتمع مع المرسل إليه؛" لأنّ ضمير المتكلّم، وضمير المخاطب تفسّرهما المشاهدة" (عبد الرحمن، 1998) ، ولا يتلفّظ به إلّا عند افتراضه أي اعتراض مسبق أو تساؤل، أو عند حاجته لتسويغ فعله اللّغويّ في الخطابات المبدوءة بـ"نحن" (الشّهريّ، 2004) ، ومثال ذلك قوله في المقامة الصّوفيّة:" حكى إنسان من معرّة النّعمان، قال: سافرت إلى القدس الشّريف سفر متنكّر بعد التّعريف، فاجتزت في الطّريق بوادٍ وقانا لفحة الرّمضاء، قال: حكمت على الوادي الّذي يروع حصاه حالية العذارى، فقلنا: دائم الإمضاء." (ابن الورديّ، 1426 هـ)

فـ(إنسان من معرّة النّعمان) في هذا الموضع شدّه الشّوق إلى معرفة الله، فأراد أن يبلّغ عن ذلك في خطاب ضمّنه الضمير(نحن) دون أن يعزل الخطاب عن سياقه التّداوليّ، فقد لمّح لذلك في بداية المقامة، فالمرسل مفرد (إنسان من معرّة النّعمان)، لكنّ الضّمير يحيل على جمع؛ أي إنّ له بعداً ثقافيّاً ممّا جعله يتفاوت بين مرجعين: المرجع الحقيقيّ، والمرجع الثّقافيّ، وهو ما لا تختزنه كفاءة المرسل إليه الّتي ستمكّنه بدورها من الرّبط بين الضّمير (نحن)، ومرجعه المفرد.

تعدّ الضّمائر المستترة ضرباً من الإشاريّات يتوصّل لإدراك الإحالة عليها عن طريق السّياق، ولمّا كانت كذلك لا يلجأ المرسل إلى التّلفّظ بها، و" يتطلّب البعض منها حضور أطراف الخطاب حضوراً عينيّاً في الأمر والنّهي"(الشّهريّ ، 2004) فأنت لا تأمر غائباً أو تنهاه، فيتطلّب الأمر أن يكون المعنى ماثلاً بين يديك مشاهداً.

أمّا عن هذا النّوع من الإشاريّات فقد ورد في مقامات ابن الورديّ في سياقات مختلفة، من ذلك قوله في المقامة المنبجيّة:" خالط أولي العلم تكن عالماً."(ابن الورديّ، 1426 هـ)

تقدير الكلام: خالط أنت، فالمرسل" إنسان من معرّة النّعمان" حاضر ، والرّجل " المرسل إليه" حاضر مشاهد، فأحال الضّمير على مرجع من خلال السّياق، وهو في هذا المقام "الشّيخ".

لمّا كان الخطاب تخيليّاً في المقامة، وبتطبيق وجهة نظر آن ريبول الّتي تتطلّب دراسة الأفعال دون النّظر في صدق الأقوال أو كذبها، فإنّه يمكّننا أن نصنّف هذا النّوع الّذي تتداخل فيه الإحالة مع الإشارة ضمن الأفعال التّداوليّة؛ لأنّ " ظاهر الإحالة أدخل في التّداول منها في الدّلالة؛ إذ إنّها ترتبط بالمقام، وتحديداً بالمعلومات الّتي يفترض المتكلّم وجودها لدى المخاطب المحال عليه حين عمليّة التّواصل." (المتوكّل، 2010) كما هو الحال في المثالين السّابقين.

ب-الإشاريّات الزّمانيّة:

وهي تمثّل المرجع لحظة التّلفّظ؛ لذلك يرى أهل التّداوليّة أن يربط الزّمن بالفعل ربطاً وثيقاً أوّلاً، ثمّ يربط الزّمن والفاعل ثانياً، ومن أجل تحديد مرجع لأدوات الإشاريّة الزّمانيّة، وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً يلزم المرسل غليه أن يدرك لحظة التّلفّظ فيتّخذها مرجعاً يحيل عليه، ويؤوّل مكوّنات التّلفّظ اللّغويّة بناء على معرفتها. (الشّهريّ، 2004)

ومن ذلك ما جاء في نصّ المقامة الصّوفيّة:" قال الحاكي: فلمّا سمعت ما قاله هذا الشّيخ الجليل أكبرته، وبالغت في التّبجيل، وقلت : يا سيّديّ، لي زمان أحرص على مثلك، فما ظفرت به من قبلك" (ابن الورديّ، 1426 هـ)

ففي هذه العبارة لا يستطيع المرسل إليه (الشّيخ) أن يتنبّأ بالوقت الّذي أراد فيه الحاكي (إنسان من معرّة النّعمان) الحرص على مرافقة شخص مثله، لامتداد الزّمن (لفظة زمان)، وبغضّ النّظر عن امتداد الزّمن فإنّه يلزم معرفة التّلفّظ الّتي يبني توقّعه عليها، فهذه العبارة لا تقدّم مرجعاً زمانيّاً يمكن أن يسهم في معرفة الزّمن الّذي حرص فيه على مرافقة الأخيار من أمثال الشّيخ الجليل.

بخلاف ما ورد في نصّ المقامة الأنطاكيّة، فإذا تأمّلنا هذه العبارة: " وكيف يظفر ساكن أنطاكيا بنيل أرب، وقد حنيت أضلع العجم على بغض العرب، كم أجدّ ويلعبون، وهم من بعد غلبهم سيغلبون" (ابن الورديّ ، 1426 هـ)

ففي هذه العبارة يستطيع (إنسان من معرّة النّعمان) الّذي يمثّل المرسل إليه في الخطاب أن يتنبّأ بالمدّة الزّمنيّة لانتصار الرّوم على العرب، لأنّه عرف لحظة التّلفّظ، فبنى توقّعه عليها، ويظهر ذلك عبر السّياق والحوار الّذي دار بينه وبين والي المدينة.

ت- الإشاريّات المكانيّة:

يتطلّب الخطاب وجود المرسل في مكان ما حين التّلفّظ به-الخطاب-، وهذا ما يضفي على الإشاريّات المكانيّة فاعليّة تسهم في إنتاج خطاب متميّز فيها تتحدّد المواقع في الحدث الكلاميّ عبر الانتساب إلى نقاط

مرجعيّة عن طريق التّسمية أو الوصف، أو بتحديد الأماكن من جهة أخرى " كما أنّ تحديد المرجع المكانيّ مرتكز على تداوليّة الخطاب، وهو ما يؤكّد أهميّة استعماله لمعرفة مواقع الأشياء." (الشّهريّ، 2004)

وبالعودة إلى مقامات ابن الورديّ نجد أنّ المرسل تحاشياً للبس يعمد إلى افتراض موقع المرجع وموقع المرسل إليه، كما هو الحال في المقامة الأنطاكيّة الّتي يروي فيها المرسل (إنسان من معرّة النّعمان) جمال هذه المدينة، وما أصابها من اختلاط العرب والعجم، ولقاءه مع واليها ، ثمّ الحوار الّذي دار بينهما، فوصف ما حلّ بها، يقول:" لقد جمعت هذه المدينة بين عرب وروم، ومن يطيق الجمع بين الضّدّين، أم من يقدر على موالاة ندّين، وكيف يظفر ساكن أنطاكيا بنيل أرب وقد حنيت أضلع العجم على بغض العرب." (ابن الورديّ، 1426 هـ)

فبالنّظر إلى نصّ المقامة نجد أنّ الوالي قد أطال في وصف المدينة لـ(إنسان من معرّة النّعمان) حتّى يدرك المرسل إليه ما حلّ بهذه المدينة، وبذلك يكون المرسل قد أنتج خطاباً الغاية منه تفسير الاحتمالات الممكنة الّتي قد يصادفها (إنسان من معرّة النّعمان) في طريقه.

كما ويظهر دور الإشاريّات المكانيّة في مقامات ابن الورديّ حتّى في عناوينها؛ إذ تحيل عناوينها على مرجع خارجيّ يكمن في مكان وقوع الأحداث، وهذا إن دلّ فهو يدلّ على أهميّة المكان في الخطاب.

وتساعد هذه المرجعيّات في فهم النّصّ، وإعطائه التّأويل المقصود، فهي بمنزلة مفاتيح شفرات النّصوص؛ لأنّ لكل منطقة خصائصها الّتي تميّزها من غيرها، كما أنّ الخطاب يتغيّر من منطقة إلى أخرى، فالقارئ عندما يتعرّف على مكان التّلفّظ يكتسب معرفة سياقيّة خاصّة بذلك المكان، وتصبح هذه المعرفة عنصراً مهمّاً يساعده على فهم الخطاب وتأويل الأحداث تأويلاً صحيحاً.

ج- الإشاريّات الاجتماعيّة:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعيّة بين المتخاطبين، وتستعمل في العلاقات الرّسميّة كصيغ التّبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنّاً، واستخدام الضّمير "أنتم" للمفرد المخاطب، و"نحن" للمفرد المتكلّم، وتشمل أيضاً الألقاب مثل: فخامة الرّئيس، وفضيلة الشّيخ، والسّيّد والسّيّدة، كما تستعمل في التّعبير على الألفة والمودّة كالتّحيّات مثل: صباح الخير (نحلة، 2006).

والملاحظ أنّ أكثر الإشاريّات الاجتماعيّة استخداماً في مقامات ابن الورديّ هي كلمة(شيخ)، ولعلّ هذا يعود إلى طبيعة عصر المقامات؛ إذ إنّ هذا العنصر الإشاريّ يعبّر عن الوقار، والكبر، والعلم، فهو يطلق على الكبير، والعالم، والمتدّين، كما يعبّر عن الاحترام بين طرفي العمليّة التّواصليّة، ومن أمثلته ما جاء في المقامة الصّوفيّة:" قال الحاكي: فلمّا سمعت ما قاله هذا الشّيخ الجليل أكبرته، وبالغت في التّبجيل"(ابن الورديّ،1426هـ)

استخدم المتكلّم العنصر الإشاريّ الاجتماعيّ(الشّيخ) للإحالة على مرجع يكمن في الإنسان الكبير السّنّ والقدر، الّذي أحاط به الرّجال الّذين التقى بهم الحاكي؛ إذ إنّه لم يصرّح به مباشرة، بل لمّح إليه لأسباب منها: وظيفة المشار إليه، فهو الإمام الخبير والمرجع الّذي يعو إليه هؤلاء العصبة في أمورهم وفتواهم، وهو يحظى بالاحترام من أفراد المجتمع جميعهم. أضف إلى ذلك مكان التّخاطب المتمثّل في القدس الشّريف عند عين الماء الّذي تتجسّد فيه مظاهر العطش للارتواء.

نستنتج من هذا، أنّ هناك مجموعة من العوامل السّياقيّة الّتي تتحكّم في استخدام الإشاريّات الاجتماعيّة منها سلطة المرسل إليه، ومكانته العلميّة، وكذلك علاقة المرسل بالمرسل إليه، ومكان التّخاطب، والمنفعة الّتي تخصّ المرسل، والفراق في السّنّ، ولهذا الأخير دور فعّال في استخدام الإشاريّات الاجتماعيّة، فلا يمكن للصّغير أن ينادي الأكبر منه سنّاً باسمه خاصّة إذا كان هناك فارق كبير في السّنّ.

خاتمة:

في ختام هذه الدّراسة وصلنا إلى جملة من النّتائج، نوردها فيما يأتي:

- يمنح الدّرس التّداوليّ دراسة متكاملة لنظريّة التّواصل عبر الاهتمام بعناصر العمليّة التّواصليّة، فـ(ابن الورديّ) تفاعل مع مخاطبيه عبر مقاماته الّتي مثّلت أداة للتّواصل.
- يعدّ الخطاب المقاماتيّ حقلاً خصباً لممارسة الإجراءات التّداوليّة؛ بفضل ما تضمّنه من قضايا لغويّة، وأبعاد سياقيّة، وتبعاً لهذه الميزة، يمكننا أن نلج هذا النّوع من الخطابات من جانبين: الأوّل منها التّصريحيّ، والثّانيّ مضمر عن طريق الآليّات التّداوليّة.
- لا يتوقّف دور الإشاريّات في السّياق التّداوليّ عند الظّاهر، بل يتجاوزه إلى بنية الخطاب العميقة في مواضع الإشاريّات المستقرّة في متنه.
- الإشاريّات بأنواعها(الشّخصيّة، والزّمانيّة، والمكانيّة) لها دور مهمّ في الكشف عن مضامين الخطاب المقاماتيّ، عبر تأسيس العلاقة الاجتماعيّة بين طرفي العمليّة التّواصليّة.
- يظهر دور الإشاريّات المكانيّة في مقامات ابن الورديّ حتّى في عناوينها؛ إذ تحيل عناوينها على مرجع خارجيّ يكمن في مكان وقوع الأحداث، وهذا إن دلّ فهو يدلّ على أهميّة المكان في الخطاب.

- الإحالة المقاميّة تساهم في خلق النّصّ؛ كونها تربط اللّغة بسياق المقام، بينما تقوم الإحالة النّصيّة بدور فعّال في اتّساق النّصّ.
- ساهمت المعرفة المشتركة بين قطبي العمليّة التّواصليّة في ضبط بنية الخطاب المقاماتيّ؛ لأنّها تمثّل المرجعيّة الفكريّة للمخاطب والمخاطَب، فالمخاطِب ينهل منها لينجز أفعاله اللّغويّة، والمخاطَب يعتمد عليها لفهم الخطاب، وتأويله على الوجه المطلوب.

المصادر والمراجع:

- **الحنبلي** ابن العماد، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**. إحياء التّراث العربيّ، بيروت ، 5801 .
- **خطابيّ** محمّد، 1991م – **لسانيّات النّصّ**. ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، 416 .
- **دردار** بشير،2012م– **الكتابة ورهانات الإقناع، مقاربة تداوليّة لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التّعدّد**. رسالة دكتوراه، تلمسان.
- **الزّركليّ** خير الدّين، 1993م – **الأعلام**. الطّبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ج336/5 .
- **الزّناد** الأزهر، 1993م – **نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً**. الطّبعة الأولى، المركز الثّقافيّ العربيّ، 199.
- **السّبكيّ** تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، 1999م – **طبقات الشّافعيّة الكبرى**. الطّبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت ، 4941.
- **الشّهريّ** عبد الهادي، 2004م – **استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**. الطّبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 654.
- **عبد الرّحمن** طه، 1998م – **التّكوثر العقليّ** . الطّبعة الأولى، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، 428 .
- **العسقلانيّ** شهاب الدّين أحمد بن حجر، 1966م – **الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة**. تحقيق: محمّد سيد جاد الحقّ، دار الكتب الحديث، القاهرة ، 572.

- **الكتبـيّ** محمّد بن شاكر، 1973م – **فـوات الوفيّـات والـذّيل عليهـا**. تحقيق: إحسان عبّاس، دار صـادر، بيروت، 600.
- **المتوكّل** أحمد، 2010م – **الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط**. الطّبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الرّباط، 191.
- **المتوكّـل** أحمـد، 2010م – **قضـايا اللّغـة العربيّـة فـي اللّسـانيّات الوظيفيّـة**. دار الأمـان للنّشـر والتّوزيـع، الرّباط، 237.
- **ابـن الـورديّ** زين الدّين أبـو حفص عمـر بـن مظفّـر بـن عمـر الـورديّ الشّـافعيّ، 1426هـ – **ديـوان ابـن الورديّ**. الطّبعة الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، 551 .
- **نحلة** محمود،2006م–**آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر**. دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة،293.

References in Maqamat of Ibn Al – Wardi

Pragmatic study

Abstract

Signals are one if the most important linguistic mechanisms in pragmatic analysis, because they are directly concernted with the relationship between the syntax if the language and the context in which it is used; They are linguistic elements that require knowledge in the sense of knowing the contextual elements surrounding the pronunciation, because they don't have affixed meaning and therefore called'tasks'.

The research deals with the definition first of Ibn al-wardi and his Maqamat, and then talk about the reference and referral; There I an overlap between them.

The study showed the effectiveness of different types of signals in detection of the contents of the dis course the social relation between the parties to the communication process.

Key words: signals, Context, Referral, Ibn al-wardi, Pragmatic